مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية

تصدرها جامعة صبراتة بشكل إلكتروني

بعض الجهات المنتجة للتشريعات العرفية: أولاد الحاج عبد الله أبي جطلة أنموذجا

Some bodies producing customary legislation: The sons of Haj Abdullah Abi Jatla as a model

أ. حسن عمر الرجباني
كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية
Hsnalrjbey@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

بعض الجهات المنتجة للتشريعات العرفية: أولاد الحاج عبد الله أبي جطلة أنموذجا

Some bodies producing customary legislation: The sons of Haj Abdullah Abi Jatla as a model

أ. حسن عمر الرجباني
كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية
Hsnalrjbey@gmail.com

الملخص:

التشريعات نتاج طبيعي لحراك المجتمعات مهما كانت مكانتها وإمكانياتها، تنمو تلك التشريعات كلما زادت علاقاتها البينية تعقيدا وكلما تقدمت في سير حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تزداد التشريعات نضجا ونموا في حالة غياب السلطات المركزية وهذا ما يحاول البحث تناوله كنموذج من التاريخ الوطني الليبي.

الكلمات المفتاحية: ليبيا – تاريخ – الحياة الاجتماعية – التشريعات العرفية – قبيلة أولاد الحاج.

Some bodies producing customary legislation: The sons of Haj Abdullah Abi Jatla as a model

Abstract

Legislation is a natural product of the movement of societies, regardless of their status and capabilities. These legislations grow as their inter-relationships become more complex, and as they progress in the course of their social, economic and political life, the legislation becomes more mature and developed in the absence of central authorities. This is what the research tries to address as a model of Libyan national history.

Keywords: Libya - history - social life - customary legislation - Awlad Al-Hajj tribe.

مقدمة:

مثل كل المجتمعات الطبيعية التي تعيش فوق رقعة من الأرض وتتخذها وطنا لها، فقد قسمت تلك المجتمعات جموعها إلى أقسام تميز كل قسم منها بدور له، وقد توطنت بعض الخصوصيات في مناطق وتجمعات دون غيرها، فتميزت بها عن سواها، وتكررت تجاربها في ذلك المجال فرسمت طقوسه وقننت خطواته، والمجتمع الليبي لا يشد عن هذا، فمثله مثل كل المجتمعات أوجد لنفسه تشريعات يسير عليها ويلتزم بها عن طواعية وبلا عسف ولا جور، وأوجد قبل ذلك جهات تنتج تلك التشريعات وتضبطها وتجعلها تنتشر وتتمدد بين السكان، ويعاد استعمالها كلما احتاجوا لها.

من مميزات هذه التشريعات أنها راسخة وبطيئة التغيير والتبدل، وذلك لعدم تغير أنماط الحياة في تلك التجمعات السكانية، والتي لا تعاني من تعقّد في علاقاتها البينية فمعاملاتها التبادلية بسيطة وسهلة، كما أن الجميع في مثل تلك المجتمعات البسيطة (القبائل)، يرتبط بعلاقات اجتماعية وثيقة ويرتبط بروابط الدم والقربى، وهم بذلك يفتخرون بأنهم: (احنا تباعين موش بداعين)[1]، وفي نص هذا المثل اعترافين صريحين تعترف بهما الذاكرة الشعبية، حيث تعترف ان الجماعات تتبع ما ورثته عن

سابقيها مهما كان نوعه، وأنها لا تضيف تشريعات جديدة قد تكون غريبة عن حياة المجتمع في جزء من الوطن عموما.

هذا الالتزام الذي يسري بين السكان ويعبر عن ما يدور في حياتهم وسيرها البطيء الذي يتميز بالرتابة، الذي يعتبرونه جزء من مميزاتهم التي تميزهم عن الجموع الأخرى (درايب واسبار)،[2] جعلوا له حماة ومنتجين يعودون لهم في كل ملمة وضائقة تلم بهم وتواجههم في حياتهم وتعاملاتهم، وقد تميزت بعض القبائل والعائلات وحتى الأفراد، بإنتاج مثل هذه القواعد ونشرها وتطبيقها بين السكان، وأصبحت ميزة لهم دون غيرهم وأكسبتهم مكانة بين هؤلاء السكان الذين يسعون للهدوء والسكينة في غياب الدولة أو السلطة القوية التي من مهامها إنتاج القانون، وقد سجل التاريخ الليبي كثيرا من الحالات، التي نجح فيها هؤلاء القبائل أو العائلات أو الأفراد في حل المشاكل وحقن الدماء، وجعل الحياة تسير بهدوء بين الجميع بالرغم من وجود الكثير من الأزمات، التي تعصف بحياة السكان وكادت في كثير من الأحيان أن تتسبب في تصادم قبلي يؤدي في الكثير من الحالات إلى نتائج وخيمة سجلها التاريخ الليبي وصارت لها عواقب مازال مجتمعنا يعاني منها، كل هذا جعل السكان يلوذون بهؤلاء ليجدوا بواسطتهم الأمن والسلام الذي تنشده الطبيعة البشرية الصافية، التي لا تدفعها الرغبات إلى التعدي والظلم، وهو ما يجعل الجميع ينصاع لأحكام هؤلاء رغم درايته ومعرفته المسبقة بان هذه الجهات لا تملك القوة الرادعة لتجعل من توجيهاتها ووصاياها قوانين ملزمة وأعراف سائدة، وقد اعتمدت هذه الجهات على إرث أخلاقي وديني واجتماعي تستند عليه في إصدار أحكامها والتي تكون على شكل آراء طيبة حسنة، يعرف الجميع مسبقا أنها بريئة من كل انحياز أو ميل أو تواطؤ لجهة دون غيرها من الجهات التي تمثل أطراف الصراع.

وقد تميزت الكثير من القبائل في النهوض بهذه الأعباء ولعل أشهرها (قبيلة أولاد أبي سيف وقبيلة أولاد الحاج وجماعة العزابة وأولاد مادي والسبيحات)، وحققت الكثير من النجاحات في إطفاء نار الفتن والمواجهات، في هذا البحث نركز على قبيلة أولاد الحاج عبد الله أبي جطلة[3]، والمعروفين بأولاد الحاج كأنموذج للقبائل التي استطاعت إنتاج الكثير من التشريعات والأعراف، والقبيلة تتمتع بمكانة بين السكان ليس بمنطقتي الجبل والقبلة، بل بعموم التراب الليبي والجنوب التونسي، وهذا ما سنتعرف عليه في معرض حديثنا عنها، ومن باب إحقاق الحق وذكر الفضل لأهله، فأنني أسجل شكري لكل أبناء الحاج عبدالله على الكثير من المساعدات التي تمكنت من الحصول عليها من طرفهم، وتمثلت في توفير عدد لا بأس به من الوثائق الأصلية والجيدة التي غطت الفترة التاريخية ووضحت حقائق حول القبيلة، إلى جانب إجاباتهم العلمية حول كل معضلة أتعرض لها، وبخاصة ضبط الأسماء وتحديد زمانها وعائلاتها وذكر مآثرها.

قصر الحاج:

عُرفت الواحة بهذا الاسم الشهير نسبة للشيخ الولي الصالح سيدي الحاج عبد الله أبي جطلة، وحمل سكانها جميعا نسب (الحاجي) نسبة للشيخ المذكور وكانت تُعرف قبل ذلك بسند مدوين، وتتواجد بالمنطقة وعلى مقربة منها مجموعة من القصور القديمة لم يتبق منها اليوم سوى بقايا أطلال دارسة، من أشهرها قصر الملالسة وقصر أبي نحاسة وقصر القوايدة وقصر دلة،[4] الذي تقيم حوله الآن قبيلة السبعة المعروفة إحدى فروع قبيلة المحاميد ذائعة الصيت.

وتقع واحة قصر الحاج على بعد 150 كيلومتر، جنوب غرب مدينة طرابلس وشمال بلدة (الرجبان)، وشمال سلسلة الجبل الغربي وهي بهذا الموقع تعتبر من واحات سهل الجفارة الممتد من منطقة العزيزية شرقا حتى الحدود التونسية غربا.

يرد ذكرها في كتاب معجم القبائل الليبية للزاوي بقوله: (.... مكان في ظاهر جبل نفوسة من الجنوب وإلى جانبه ربوة عالية فيها قبر ... يقول المسافرون الذين يمرون بهذا المكان أنهم يسمعون الأذان من هذه الربوة بجوار القبر ...)،[5] تحيط بالواحة غابة من النخيل من أشجار النخيل تعتمد عل المياه التي توفرها مجموعة من العيون الجارية، التي ساعدت سكان الواحة على ممارسة الزارعة المروية والتي ساهمت لحد ما في تزويد سكان المناطق المجاورة ببعض الخضروات ومن أشهر تلك العيون (عين الهكي وعين الحوش البحري والعتلة وعين الحارس وعين الشتولة وعين الكرعان).[6]

يقع جوار معظم هذه العيون نقاط مراقبة وحراسة، وتسمى (قصبة)، وهو بناء مخروطي الشكل يستعمل للحراسة وتجفيف بعض الثمار كالتين والتمر وبعض الخضروات ومن اشهر تلك الأبراج (القصبات)، قصبة كرم ساك خليفة وقصبة كرم عبد النبي، وقصبة عيال ارحومة وقصبة الحراري.[7]

إلى جانب هذا النوع من الزراعة المروية اعتمد سكان واحة قصر الحاج على الزراعة البعلية (الحبوب)، في سهل الجفارة المجاور لواحة القصر من الناحية الشمالية كباقي سكان قرى الجبل، ولسكان واحة قصر الحاج نصيبهم المعروف (الخمس)، في الأرض وهذا النصيب موثق حسب الوثائق المعتمدة من السلطات العثمانية بعد اعتماد قانون الأراضي العثمانية الصادر في عام 1858م، في ما يعرف لدى السكان (الطابو)،[8] ومارس سكان الواحة كغيرهم من سكان المنطقة عموما حرفة الرعي وتربية الحيوانات، فقد كانت قطعانهم من الماشية تنتشر بمراعي سهل الجفارة الواسع، وقد حملت إبلهم وسم . نار . خاص بهم يضعونه على رقاب إبلهم من جهة اليمين، مازال متعارفا عليه بين الجبل والقبلة والجنوب التونسي ويعرف (الحاجي)، نسبة للحاج عبدالله ابي جطلة، هذا الوسم الذي حاز على احترام وتقدير جميع السكان بكامل المنطقة سابقة الذكر، وتجنب معظمهم الاعتداء على قطعان هذه الإبل التي تحمله خوفا من بركة الحاج عبدالله ومن بركة أحفاده عموما، في شبه اتفاق غير مكتوب بين جميع سكان المنطقة التي يتناولها هذا البحث وخارجها[9]، وهذا الأمر جزء من التراكمية المكتسبة طيلة قرون

من الزمن، التي ساعدت الواحة وسكانها على اكتساب وسيلة دفاع ناجعة عن مصالحها وحقوقها ومصالح وحقوق أفرادها المنتسبون للنسب (الحاجي)، وفي الوقت نفسه حَمَّلت هؤلاء الأحفاد واجبات اجتماعية للمحيطين بهم وجيرانهم من سكان المنطقة حيث توجب عليهم استقبال كل من استجار بروضة الحاج عبدالله ومساعدته، وحمايته، وإيوائه، والعمل على تذليل الصعوبات التي أجبرته على اللجوء لتلك الروضة، وفرضت عليهم في الوقت نفسه السعي المستمر للقضاء على ما قد ينشب من خلافات بين القبائل وكثيرا ما كان هذا التدخل سببا في حقن الدماء ونهاية لصراعات دامية بين السكان، وتكون الأحكام الصادرة من أبناء وأحفاد الشيخ الولي أبي جطلة ملزمة لكل الأطراف، وليس لها من قوة ملزمة سوى الاحترام للشخوص الصادرة عنهم، معتمدون في إصدارها على تلك الهيبة المكتسبة والعائدة الى البركة الناتجة من الانتساب للحاج عبدالله أبي جطلة، الذي حظي وأمثاله حتى في مناطق أخرى بمثل هذه المنزلة الرفيعة، وقد حفظت لهم الذاكرة الجماعية للسكان الذين تناقلوها بينهم شفاهيا، يعززونها أحيانا بروايات أسطورية عجيبة، يزيدها الخيال الشعبي قوة ويعطيها نوعا من القداسة والعجائبية التي تتضخم بشكل هائل بين الجموع الأمية المحتاجة لصنع الأولياء؛ لخلق نوع من السلام والسلم الاجتماعي، تعززها مخطوطات قديمة حرصوا على نسخها من جيل إلى جيل، تتم مصادقتها كل فترة من الشيوخ والعلماء ورجال السلطة التابعين لها أو المتنفذين في المناطق التي يستقر بها هؤلاء الأحفاد، ويقول المؤرخ التونسي سالم لبيض في هذا المعنى: (إن أغلب القبائل تنسب نفسها لأحد الأولياء، فالجد المؤسس للقبيلة في أغلب الأحيان يتحول إلى "ولي"، تنسج حوله الأساطير ويصبح صاحب كرامات...).[10]

هذه المهابة المكتسبة تنتقل مع كل الأفراد المنتسبين لهذا الولي الصالح وتكون سبيل الفرد إلى اكتساب التقدير والاحترام أينما حل ونزل، فالأنساب، أكثر من أي نوع آخر من المستندات يمكن أن توفر الشرعية المباشرة والملحة للاعتزاز بالنفس ومن شأنها أيضا أن تدعم المكانة الاجتماعية للفرد أو الجماعة[11]، وهذا ما نلاحظه على معظم المنتسبين لهذا الشيخ بمنطقة (الأصابعة)[12]، بالجبل إذ ينتسب بعضهم إلى السيد (امحمد)، أحد أحفاد الشيخ أبي جطلة، وكذلك لأبناء (نصر)، بمنطقة الهيشة على الساحل بالمنطقة الوسطى والمنتمين الى قبيلة (العبادلة)[13] هناك، وغيرهم من المنتمين الى قبيلة (ورفلة)، بفرعي الزبيدات والفطمان،[14] ولعل من أشهر المنتمين لهذا الولي، هم أحفاد سيدي الولي (علي بن عبيد الإصيبعي)، الذي حل في القرن السابع عشر الميلادي بمنطقة (مدنين)[15]، بالتراب التونسي، واستقر بحمى قبيلة (الحزم)[16]، ولحسن خلقه وورعه وتدينه تمتع بمعاملة حسنة من كل أهل القبيلة، وتصاهر مع الولي الصالح سيدي (مخلوف)[17]، مما جعله يكتسب محبة كل سكان المنطقة الذين حرصوا على الالتفاف حوله ودعمه في تأسيس المدينة، فقد قام بمساعدة قبيلة (التوازين)[18]، ببناء

قصر (مدنين) وهو ما ساعد على جذب أعداد أخرى قد تكون تربطهم علاقة قرابة بسيدي علي بن عبيد مثل أولاد سيدي الزيتوني، وأولاد الحاج احمد وقبيلة الربائع[19].

بالرجوع إلى الوثائق المحفوظة لدى السكان التي وصلتنا منهم نجد أن هذه الوثائق تحظى باحترام كبير بينهم يورثونها لأبنائهم ويعتزون بحيازتها، وفي الكثير من الأحيان نجدهم لا يخرجونها للاطلاع إلا بصعوبة وتحفظ شديد، ولعل مرد ذلك إلى الاضطهاد الذي تعرض له معظم المنتسبين للبيت النبوي الشريف، في كل أرجاء الدولة الإسلامية وفي أغلب تاريخها، إذ كان المنتسبون إلى البيت يحاولون دائما إخفاء هذا النسب خوفا من البطش بهم، ومن أول هذه الوثائق التي تخص قبيلة أولاد الحاج الوثيقة رقم (142)، التي تتناول سردا تاريخيا لقدوم الجد الأول (إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب)،[20] إلى بلاد المغرب الأقصى، وتتبع سيرة عقبه وهجراتهم ببلدان المغرب حتى تصل إلى جد القبيلة الحاج عبدالله أبي جطلة، واستقراره بالمنطقة، وبالرغم من أنها لا تشير إلى تاريخ كتابتها الأولى لكنها تبين تاريخ نسخها الأول والمؤرخ في 15 ذي القعدة 1292هـ الموافق 12 ديسمبر 1875م، وأعيد نسخها مرة أخرى في 1 شوال 1300هـ الموافق 4 أغسطس 1883م[21]، وقد أشار الناسخ الأول انه نسخ من الأصل المكتوب قبل 700 سنة، ويقصد بذلك الأصل الذي أضيفت له أسماء وأحداث جديدة تهتم بأخبار آل البيت ببلاد المغرب، وقد راجعها معه مجموعة من العلماء والقضاة[22]، تم ذكر أسمائهم جميعا بالوثيقة، وقد حرص أحفاد الشيخ أبي جطلة علي تصديق هذه الوثيقة وجمع توصيات مهمة من عدد كبير من العلماء وممثلي السلطة، وفي فترات متلاحقة وقد تمتعوا بفضل ذلك من الحصول على الكثير من الامتيازات سوى من العامة التي تحيط بهم وتتعامل معهم أو من الدولة العثمانية التي تحترم كثيرا كل العائلات والقبائل التي تنتسب إلى البيت الهاشمي الشريف وتستطيع إثبات ذلك بمثل هذه الوثائق والمشجرات والتي تتمتع بتصديق العديد من العلماء والمشايخ المعروفين، ومن الملاحظات التي وردت على شكل حواشي بهذه الوثيقة واستطعت أن أتمكن من التحقق من بعضها، وصعب تحقيق بعضها بسبب تعرضها للتلف وقدمها وعدم صونها صيانة جيدة ولعل فيها كفاية للتوضيح وهذه أهمها:

1. متصرف يفرن
2. قائمقام فساطو
3. محمد فكيني الرجباني
4. سالم بن محمد العقبي الرياني
5. محمد الصيد بن محمد بن هدية الزنتاني
6. مصطفى بن سالم بن صويد المصراتي

7. محمد بن احمد بن بشر الرياني
8. محمد بن عطية بن هدية الزنتاني
9. سالم بن حامد العقبي الرياني
10. محمد ابي القاسم العيساوي الرجباني.[23]

ويمكن إيجاز توصياتهم جميعا في النقاط التالية.

1. الإجماع على تحققهم من صحة الشجرة ومن صدق حامليها.
2. التأكيد على محبة آل البيت وتوقيرهم وقضاء حوائجهم والتقرب لهم.
3. توصية كل من يطلع على الوثيقة بواجب احترام حاملها وأهله جميعا، وقد تم ذكره شخصيا في بعض تلك الحواشي، وهو السيد (أحمد بن عبد الرحمن بن محمد).

ولأهمية هذه الحواشي نذكر منها حاشيتين بالمتن لجودتهما اللغوية وحسن خط كاتبيهما ولشمولهما على المعاني الواردة في النقاط السابقة، أولها صادرة عن السيد محمد أبي القاسم العيساوي[24]، (الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل بيته وعشرته ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد.

أن قدوة أرباب الإقبال والفضل والكمال الجاري في اقتفاء السلف الصالح علامة الأعلام السيد أحمد بن عبد الرحمن من نسل قدوة الأنام ومصباح الظلام شيخ المحققين وتاج الواصلين برهان سره بالإمداد لكافة العباد السيد سيدي عبد الله أبو جطلاه[25] بن محمد بن جلال تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جنته. آمين. فهو من أبناء محمد سيد عدنان لوجود الشجرة التي بيده وشرفه بها قد بان وقال الله كل يوم هو في شان فيجب على الواقف أن يحترمهم ويوقرهم ويعظمهم بحيث لا ينالهم من أحد مضرة ولا مكروه بوجه من الوجوه وليس لنا عليهم سوى المواظبة الخيرية في الأماكن المرضية بكرة وعشية.. قاله وكتبه شاهدا به عبد ربه أسير ذنبه محمد بن أبي القاسم العيساوي).

والحاشية الثانية التي جاءت بخط السيد محمد احمد بن بشر الرياني[26]، التي ورد بها.. (الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد. فالواجب على كافة العباد احترام أهل البيت الشريف وتعظيمهم وتوقيرهم والتحبب أليهم فمن أحبهم أحبه الله فهم الأمراء الشفعاء يوم القيامة وقد تضمنت النسخة المرسومة بثبوت نسب الشيخ المزار صاحب الكرامات ذو السر الواضح والزناد القادح الشيخ سيدي الحاج عبد الله أبو جطلاه واتصاله إلى أهل البيت .... تحرر ألفاظها قديما لثبوتها عندي بواجب الثبوت ومعايني للأصل أصل أصلها ولما كان الحامل لها الخطيب الأريب التقي النقي الحامل لكتاب الله المتوكل على مولاه سيدي احمد بن عبد الرحمن هو احد سلالة الشيخ المذكور فالواجب على العامة حرمته ومبرته وإعظامه واحترامه أينما حل

تعظيما وإكراما لما عظمه الله عز وجل وربنا الهادي الموفق إلى سبل الرشاد. كتبه مرجى عفوه اسير ذنبه محمد احمد بن بشر غفر الله لهم. آمين).

من خلال ما ورد في هذه الحواشي تتضح المكانة التي يتمتع بها المنتسبون لهذا الولي الصالح بين السكان، والتي ساعدتهم على حل الكثير من المشاكل والمعضلات بين أفراد تلك القبائل المجاورة لهم وبين القبائل أحيانا، وقد وصل الآمر ببعض الأفراد إلى الرضا بحلف اليمين بروضة الحاج عبدالله لحل الخصومة مهما كانت متشابكة ومستعصية، وفي الوثيقة رقم (57)، والمؤرخة في 15 شعبان 1232هـ الموافق 30 يوليو 1817م[27]، يتبين لنا نجاح أحفاد الشيخ أبي جطلة في عقد صلح بين عائلتين وقع بينهم خلاف نتج عنه وفاة احد رجال العائلتين. ومن الملاحظات حول هذه الوثيقة ورود أسماء الأشخاص التابعين للعائلتين المتنازعتين دون صفات، (.... عبد الله بن الثابت وخليفة التريكي وعبدالرحمن بن عبد الرحمن ومحمد بن تير وعلي بن طالب وعلي بن موسى وغيرهم ....)، بينما وردت أسماء أحفاد الشيخ الحاج عبد الله مسبوقة بلفظة "سيدي، مثل: (...سيدي حمد بن الوحيشي وسيدي خليفة بن حمد بن علي وسيدي احمد بوكراع وسيدي امحمد ابزيز وسيدي احفيظ بن علي ....)، وقد ورد في الوثيقة أن هذا الصلح بين العائلتين قد تم (.... على "أيدين،[28] الفقراء أولاد سيدي الحاج عبد الله نفعنا الله ببركاته. آمين).[29]

استعمال سابقة (سيدي)، وما تحمله من دلالات نجدها تتكرر في معظم الوثائق الخاصة باتباع الحاج عبد الله سواء في الوثائق التي تخص القبيلة نفسها أو الوثائق ذات العلاقة بغيرهم وهو ما نجده في الوثيقة رقم (29)، والمؤرخة في 29 ربيع الثاني 1264هـ الموافق 3 ابريل 1848م، وهي عبارة عن شهادة بوقوع خصام بين قبيلتين ووردت أسماء المنتسبين لقبيلة الحاج عبدالله (أولاد الحاج)، مسبوقة بلفظة سيدي (... سيدي أحمد بن محمد وسيدي محمد الصغير وسيدي علي بن مهلهل ... كلهم أولاد الحاج عبدالله أبي جطلة نفعنا الله ببركاته .آمين)[30].

استطاع أحفاد الحاج عبدالله أبي جطلة أن يسخروا هذه القدرة من أجل المصالحة حتى في أماكن بعيدة جغرافيا عن واحتهم، ساعدهم على ذلك تبني قبيلتي الرجبان والزنتان إليهم في هذا المسعى، وسمعتهم وسمعة أوائلهم، والمكانة الروحية التي يحظى بها الحاج عبدالله بين العموم، وهذا المسعى الطيب المحمود توضحه الوثيقة رقم (163)، والمؤرخة في 28 ذي القعدة 1315هـ الموافق[31]، وقد بينت هذه الوثيقة بالتفصيل والشرح لحادثة قتل غامضة وما نتج عنها من عداوة بين عائلتين بمنطقة الشاطئ، وكيف تمت الدعوة لعقد صلح بين العائلتين، (– فاهتم جماعة المسلمين من أهالي – الرجبان وأولاد الحاج والزنتان – ورغبوا الفريقين للصلح المحمود العاقبة لكونه أسلم لهما طلبا من الجميع للثواب الموعود على لسان الصادق المصدوق ﷺ، في قوله: من أصلح بين اثنين فأنه استوجب أجر شهيد،

وامتثالا لأمر الله تعالى في قوله سبحانه: (وأَصلِحُوا ذَاتَ بَينِكُم...)[32]، وقوله عز من قائل: (وإن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...)[33]، وقد استطاع هؤلاء أن يجعلا الفريقين المتخاصمين يختارا ممثلين لهما من بين القبائل المتدخلة نفسها، فاختار الفريق الأول وهم أهل الفقيد، (.. كافل الورثة القاصرين، الحاج أبو بكر بن خليفة التومي الزنتاني القاسي الجروي لما نضروه من اللياقة والديانة والأهلية..)، بينما اختار الفريق الثاني وهم أهل المدعي عليه (.... وكيل المدعى عليه الحاج عمر بك عراب الرجباني...)، وقد استطاع الجمع المبارك إنهاء هذه المشكلة، وأرضيا الطرفين وختما ذلك بقولهم في الوثيقة السالفة الذكر:(... صلحا تاما شرعيا واقعا من غير ضرر يلحق اليتامى لعدم ثبوت الدعوة على المدعي عليه ولأجل وقوع ما ذكر بمحضر جم غفير وجمع كثير من أعيان ووجوه ومعتبرين أهالي البلدان المذكورة أعلاه حرر هذا الصلح المبرم في هذا الأصل للبيان والتوثيق به...)[34].

في منطقة الهيشة البعيدة عن قصر الحاج يتمكن اتباع (خدام)، الولي نصر أحد أبناء الحاج عبدالله الذي أقام بها ودفن بترابها، وله بها أحفاد من ضمن قبيلة العبادلة المعروفة يتمكن هؤلاء من إنهاء فتنة عصفت بالمنطقة وإعادة السلام والوئام المطلوبين، لها ولسكانها وهو ما تتحدث عنه بالتفصيل الوثيقة رقم (164)، والمؤرخة في 5 شوال 1266هـ الموافق 14 أغسطس 1850م[35]، التي جاء بنصها ما يلي: (يشهدون عبدالرحمن بن محمد النعاس الزاوي وحمد بن صالح الهيشي ومحمد بن ساسي الهيشي وعيسى بن فرج الهيشي والتايب زايد بن فرج والضبيع بن محمد الهيشي الجملة هؤلاء خدام الشيخ الولي الصالح شيخ البركة سيدي نصر أعاد الله ببركته علينا وعلى المسلمين أمين، يشهدون كلهم ويتحققون بالشهادة واحدة ولفظ واحد شهادة لله عز وجل مطلوبة لا عندهم فيها شك ولا ريب بأنهم حضروا هنا منصور بن الحاج احمد شُهر العياط الزواوي واخوانه وهما صالح وعلى وعبدالله الحداد الهيشي وأبنائه محمد وإبراهيم، ووجدنا بينا الأولين وهو الزاوية واللاحقين وهم الهيشة كما مذكورين أعلاه صارت بينهم باستماعنا معركة عام ثلاثة وستين[36]، وبعد ذلك اجتمعوا على أيدينا وصلحنا بينهم بتراضي من الجميع وطيحناهم على بعضهم بعضا[37]، خوفا من توريث[38]، العداوة بينهم وبطل بينهم جميع الغيض والحرج،[39] ولم يقف واحد منهم على صاحبه بحجة يقوم بها إلى تعاقيب الخصام والمجادلة إلى الأحكام الشرعية وافترقوا من حضرتهم لدينا برضا وتسليم من الجميع بحيث لا أحد يقوم على الآخر بدعوة ولا طلب ولا رجوع بعد ذلك بتوقيف حجة وشهد التايب المبروك بونعامة الهيشي والتايب خليفة بن معتوق الهيشي بتزكيتما للشهود المذكورين أعلاه واشهدوا أنهم شهود عدول مرضيين العمل في الأقوال والأفعال وتصحيح الشهادات لا تتخذ الحق فهو يشهد عليهم من سمع منهم ناقلا عنهم بأذنهم لتعذير الكتاب بأيديهم ولمن وجب له الإذن شرعا بتاريخ شهر الله شوال عام 1266هـ، كتبه العبد لربه محمد بن محمد أبي طبل عفا الله عنهما وعن جميع المسلمين)[40].

تبين الوثيقة السابقة الدور الاجتماعي الذي استطاع به مجموعة من الأفراد تسوية الخلاف بين سكان المنطقة، دون تدخل من الدولة التي تتجنب دائما الخوض في الأمور الاجتماعية بين القبائل، وتركت السكان يحتكمون عند الملمات لشرائعهم المحلية، تلك الشرائع والنظم التي ترسخت بينهم بمرور الزمن السلطة فيها تعود (للميعاد)، هذا الميعاد الذي يستمد قوته من تراكمية العادات والتقاليد والنظم المحلية وترسخها وثبوتها بين الجموع، ويكون الرجال الذين يصوغون مخرجاته يتمتعون بالأهلية بين قبائلهم (... وشهدوا أنهم شهود عدول مرضيين العمل في الأقوال والأفعال...)[41]، ويستمدون القوة (البركة)، من الانتماء إلى خدمة احد أبناء الولي أبي جطلة وهو الشيخ الولي نصر (..الجملة هؤلاء خدام الشيخ الولي الصالح شيخ البركة سيدي نصر أعاد الله ببركته علينا وعلى المسلمين أمين...)[42].

إلى جانب هذا الدور المهم في المصالحة بين السكان والذي مارسه كل أبناء القبيلة دون تمييز فجميعهم ورثة لتراث الحاج عبدالله الروحي والديني، فإن القصر الشهير كبناء ضخم متميز وفر لهم دورا اقتصاديا مميزا بين سكان المنطقة الذين يتخذون منه سوقا يجمعهم لعرض بضائعهم في بقعة آمنة من أي اعتداء، وفي الوقت نفسه وفر لهم مخزنا يخزنون به محاصيلهم الزائدة عن استهلاكهم بغرف هذا القصر، ويتركون أماناتهم في حماية هذه الروضة المباركة وصار أبناء القبيلة في العموم موضع أمين لحفظ تلك الأمانات وصونها، وهذا ما أكدته الوثيقة رقم (141)، والمؤرخة في 25 ذي القعدة 1313هـ الموافق 4 مارس 1902م،[43] والتي هي عبارة عن شهادة واضحة لمجموعة من أبناء القبيلة بأن: (السيد احمد بن عون بن مهلهل الحاج وأبنائه هم موضع أمانة وإنهم معروفين بالبر والتقوى وحفظ الأمانات وإرجاعها لأهلها من غير منازعات).

وبالعودة إلى الخارطة الإنشائية للقصر نجد أنه يضم حوالي ثلاثين مستودع تحت أساسات الدور الأرضي للقصر، تعرف عند السكان ب (الهري)،[44] ويوضع بها المقتنيات الثقيلة وأدوات الفلاحة من (محاريث وحبال ومذاري وأكياس)، ومنها ما هو موجود ليومنا هذا، ومعروف لأصحابه ومنهم من هم ليسوا من قبيلة أولاد الحاج ولا من سكان البلدة ومنهم الذين هم من خارج إقليم الجبل.

إن حرمة المكان تأتي من الهالة الروحية للسيد الشيخ عبد الله أبي جطلة وأحفاده من بعده، وقد احتفظت لنا الذاكرة الشعبية بالكثير من الحوادث الخارقة المتناقلة بين سكان الواحة والمنطقة المحيطة بها، والتي تجمع على ان بركة الشيخ كثيرا ما ساعدت على حماية من استجار به ولاذ بحرمه وروضته، أو حتى باللجوء لأحد أولاده وأحفاده الذين يعتبرهم السكان حملة للسر والبركة.

ومن أشهر ما حفظته الذاكرة الشعبية لنا من حكايات في هذا الجانب، تلك الحكاية المتعلقة بقائد الحملة العثمانية، أمير اللواء احمد باشا، والذي كُلف بتهديم القصور بقضاء (يفرن وككلة وفساطو)، وناحية (الخلايفة والرياينة والرحيبات والزنتان والرجبان)، عقوبة للسكان بتلك المناطق لمشاركتهم في

التمرد على السلطة العثمانية ومساهمتهم في أحداث ثورة غومة المحمودي[45] 1831. 1858م، فقد عاقبت السلطات السكان بالمناطق الجبلية الثائرة بعد القضاء على الثورة سابقة الذكر، حينها بحزمة من العقوبات القاسية وكان من بينها هدم معظم القصور الواقعة بمناطق الجبل وضمن نطاق المناطق التي شاركت بالتمرد، وقد تم ذلك في حملة كبيرة نتج عنها هدم كل تلك القصور ما عدا قصري (كاباو ونالوت)، غربا بحجة استعمال السكان لهما كمراكز دفاع ضد هجمات سكان الجنوب التونسي، وكذلك قصر الحاج الذي يتمتع بمكانة روحية تعود لمكانة مؤسسه الحاج عبدالله أبي جطلة، ولعدم استعماله في الأغراض القتالية المعادية للسلطات العثمانية، وتُجْمع الرواية الشعبية على ان قائد الحملة العسكرية (الأميرال أحمد)، داخله شيء من الخوف من بركة الحاج عبدالله الذي فيما يبدو أنه سمع الكثير من الحكايات العجيبة حوله من المتطوعين بقواته، مما جعله يمتنع على هدم القصر كباقي القصور السابقة بالمنطقة.

ساعد هذا الوضع سكان الواحة على الميل لحياة الاستقرار والسلم الاجتماعي والعمل دائما على السعي لترسيخه ونشره بين السكان بالواحة وخارجها، حتى صار هذا سلوكا عاما لكل سكان واحة القصر وأحفاد الشيخ أبي جطلة رضوه هم عن طواعية وارتضاه لهم المحيط واعترف لهم بذلك وباركه، وتؤكده الوثيقة رقم (22)، والمؤرخة في 8 رمضان 1277هـ الموافق 20 مارس 1861م، وفيها نجد مجموعة من أبناء الواحة (القصر)، قد سارعوا إلى التصالح مع مجموعة من جيرانهم من قبيلة (تاردية)، إحدى قبائل الرجبان بعد أن دار بينهم شجار جرح فيه البعض وتعرض البعض إلى كسور من الطرفين ويرد بها قولهم: (... فتقابل الفريقان وتسالكا في جميع الدماء من بعضهما بعضا فأخذ كل حقه من الآخر ولا بقت بين الفريقين دعوة ولا مطلبة على وجه ما وجعلوا بينهما هذا قاطعا وحاجزا وفاصلا فمتى ادعى وأقام أحد مما ذكر بدعوة يدعيها فهي باطلة وقولة زور ...)[46].

إن روح التسامح والتعاون قد تكون فرضتها البيئة التي تحيط بسكان الواحة وما نلاحظه على معظم سكان الواحات المزارعين الميالين إلى الهدوء والمسالمة والمصالحة، ومحاولاتهم دائما تجنب المصادمات مع جيرانهم ومحيطهم يجعل منهم عائلة واحدة تتعاون من أجل سلامة ورفاهية واحاتهم وضمان هدوئها الذي يؤدي بدوره إلى جلب الوافدين لها وارتيادها من قبل القوافل والتجار والطلبة الراغبين في التعلم بزاويتها وعلى يد رجالها.

هذه الروح انعكست على المعاملات بين السكان وجعلت منهم أسرة واحدة تتعاون للعيش في محيط، يعتمد فيه بعضهم على ممارسة السطو والغزو وتحول عند بعضهم إلى مبعث فخر وعزة، وبه استطاعت بعض القبائل أن تُكوِّن ثروات هائلة ممَّا تستولي عليه من الغير، والاستيلاء على أهم مصادر ثرواتها، وأهمها الحيوانات وخصوصا الإبل [47]، وتبين الوثيقة رقم (34)، والمؤرخة في 25 ذي القعدة

1299هـ الموافق 8 أكتوبر 1882م [48]، بوضوح كل هذه المفاهيم ولأهميتها، يمكن إيجازها في النقاط التالية، مع إثبات نصها بالملحق:

1. حتى هذا التاريخ 1299هـ الموافق 1882م، مازالت قبائل الجنوب التونسي والشرقي خاصة، وقبائل الغرب الليبي يتبادلون الغارة على قطعان الإبل بينهم، وهم لا يرون فيه أي عيبٍ أو ظلمٍ، بل هو نوع من الفروسية والعادة، ولعل المخالف في هذه الحادثة بينهم هو التعدي على حرمة روضة الحاج عبد الله أبي جطلة.

2. روح التعاون بين سكان الواحة وهبتهم للدفاع عن أملاكهم، وهو ما جعل المدعو محمد البكوش يمتطي فرس المدعو عمر محمد الوحيشي، ويردف خلفه المدعو محمد بن عون بزيز.

3. أدى ركوب اثنين للفرس في موتها، مما جعل صاحبها (عمر بن محمد)، يشتكي، والغريب أن الشكوى وجهت ضد المردوف (محمد بن عون بزيز)، وليس ضد الراكب (محمد البكوش)، باعتبار أن الراكب (فازع) أو (قاطر) [49]، بينما المردوف كان بإمكانه الاعتذار حتى يساعد الفرس على السرعة واللحاق بالعدو (الغاير) [50].

4. إسقاط المدعي (عمر الوحيشي)، دعواه في المجلس وإقراره بذلك أمام الحضور ورغبته فقط في دعاء خير من الجمع (فاتحة)، وهو ما حصل فعلا وانتهى المجلس على ذلك وبرضى الجميع.

ويتضح من هذه الوثيقة، أن الغارات بين القبائل ظلت متبادلة إلى فترة متأخرة من القرن التاسع عشر، وأن بعض المهاجمين لا يتورعون من مهاجمة الإبل التي تحمل الوسم (الحاجي)، وهو وسم يتعارف معظم سكان المنطقة الغربية بليبيا والجنوب التونسي بعدم مهاجمة القطعان التي تحمله، ولعل هذه الحادثة من الحوادث القليلة التي تهاجم فيها إبل أولاد الحاج بل وصل الأمر إلى قتل أحد أفراد الواحة (محمد شتولة).

إن روح التسامح والتعاون هي التي سادت في هذه الواحة بين أبناء الحاج عبدالله ولهذا صارت تلك الواحة وقصرها وزاويتها، مقصدا للغرباء ومأوى للفقراء ومدرسة للتعليم، ويبدو أن بعضهم أقام بها، وهذا ما تؤكده الوثيقة رقم (45)، والمؤرخة في 1 ربيع الثاني 1222هـ الموافق 8 يونيو 1807م، وهي عبارة عن تنازل من السيد عبدالله بن بوكراع الحاجي عن جميع الغرف الكائنة بالقصر لخاله السيد ابي القاسم بن ابي القاسم بوكراع، وقد تم تذييلها بذكر اسم (الطالب، محمد الحبيب بن محمد الفزاني التساوي [51]، عامله الله بلطفه، آمين...).[52]

وفي وثيقة سابقة لهذه تاريخيا نجد أنها مذيلة باسم مقيم آخر بقصر الحاج، حيث كتب ملاحظته حول تلك الوثيقة باعتباره شاهدا على ما جاء بها (وبما سطر أعلاه عبيده الفاني الضعيف محمد بن الحاج ناعم الحضيري تاب الله عليه. آمين ...) [53].

هذه الروح التعاونية في محيط متصارع ساعدت سكان الواحة على حياة الاستقرار والتنظيم والاتجاه إلى التعليم والاهتمام بالزراعة، والعمل على إدارة الواحة بشكل منظم تؤكده، وقد ساعد وجود القصر داخل الواحة على ترسخ فكرة المركز، الذي تدور فعاليات الواحة حوله وينشأ بوجود القصر حب الانتماء للمكان، واعتباره الوطن بكل ما يقدمه الوطن من شعور بالأمن والحاجة إلى التضامن والتآزر بين سكان الواحة، وهذه الوثيقة التي تحمل رقم (181)، والمؤرخة في 1 صفر 1326هـ الموافق 10مايو 1902م، ولأهمية هذه الوثيقة وقصرها نثبتها بالمتن (اتفقت جماعة أولاد الحاج خصوصاً وعموماً والحاضرون.

1. سيدي الحاج علي بن الوحيشي
2. وسيدي عبد الحميد القمودي
3. وسيدي احمد بن عبد الرحمن
4. وسيدي احمد بن عون وسيدي

وصار بينهم مذاكرة في المصالحة العمومية وراحة سكان أهلها وخوفا من الأغراض النفسانية فاتفق رأي الجميع تبيين غرامة الملك والكرم، فبينوا لغرسة عامين راجع عشرون بارة لكل عين[54] والذي بعدها عشرة بارات من غير الشتول واللصاق والضايع هذا الذي عليه الأداء،[55] والغرم والفضل لأهل الفضل ولذلك حررت هذه لأجل تسكين الهرج بين القبايل وشهد ذلك عبده أحمد بن علي عفى الله عنه).[56]

هذه الوثيقة تبين مدى الاهتمام بالزراعة – خصوصا المروية – ومحاربة العابثين بها، وهذا يؤكد أن السكان بواحة قصر الحاج أدركوا قيمة الزراعة والأشجار في تكوين مجتمع مستقر يرسخ قيم قانونية تجعل الحياة بمثل هذه الواحات أكثر سهولة ويسر وراحة، هذه التشريعات رغم بساطتها لكنها كانت قادرة على بسط الهدوء بين السكان، وهي دعوة في الوقت نفسه للتعاون والتماسك بين هؤلاء السكان الذين يشكلون مجتمع الواحة لمواجهة المخاطر التي قد تأتي من خارج الواحة، وبخاصة في أوقات حرجة يمر بها المجتمع عامة وفي فترات ضعف السلطة المركزية وعجزها عن بسط سلطاتها على كامل تراب البلاد، وهو الأمر الذي يجعل القبائل والمناطق السكانية محتاجة إلى وجود ضوابط وتشريعات لحفظ الأمن وسلامة السكان.

ومن الواضح أن القرى التي قامت حول مركز محدد يجمعها مثل القصر أو مصدر ماء ثابت، كانت أكثر اهتماما بوضع تشريعات تحافظ على الهدوء والسلم لتأمين الحياة بهذه المناطق التي يشكل القصر مركز الدائرة الاقتصادية، حيث يجتمعون حوله في حالة السلم كمخزن ومجتبى وسوق، وفي حالة الحرب كوسيلة دفاع وحامي لهم ضد الهجمات وخاصة من القبائل والجماعات المتحركة، وهذا ما يجعلهم يضعون أجرا لكل من يقوم بخدمة هذا القصر وحراسته، وهو ما تؤكد عليه الوثيقة رقم(1)، المؤرخة في 25ربيع الثاني 1199هـ الموافق 6 مارس 1785م، التي اتفق فيها أهل كاباو على تنظيم والحراسة لقصرهم المعروف الذي يشبه لحد كبير قصر الحاج عبد الله، ولجودتها ووضوح معانيها ودقة تعابيرها أوردها كاملة بالمتن.

(الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد يشهدون أهل كباو،[57] في حين التاريخ وهم سي مسعود بن خليفة بن مسعود الكباوي وعمرو بن سعيد يعرف الاقبج الكباوي وساسي بن علي بأنهم حضروا في جماعة كباو حين اتفقوا في كباو والجماعة حاضرة معهم بها .على ان يجعلوا محرسة عدة يحرسون القصر والبلاد وجعلوا لهم خمسة كروات،[58] شعير على الدمنة،[59] الحاضر والغايب يعطوه في بلد كباو ومن لم يعطوا في الأجل إما يعطوا ثمنها في الجبل وإلا ما يقابل الثمن في جربة هذا ما شهدوا به ونقلناه لسائله كما يجب شرعا وهم بحال الجواز شرعا بتاريخ أواخر ربيع الثاني سنة تسعة وتسعين ومائة والف .. صالح بن إبراهيم الباروني وعبدالله بن سليمان الباروني ..).[60]

تبين هذه الوثيقة آلية النظام المتبع لحماية قصر كباو وحاجات السكان، وهذا القصر يشبه إلى حد كبير قصر الحاج أبي جطلة، حتى وإن اختلف معه في المكانة الروحية التي تمتع بها قصر الحاج أبي جطلة بين السكان، وقد سلما الاثنين من الدمار أثناء الحملة العثمانية سابقة الذكر، ويعتبر القصر هو الوحدة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع القرية، كما أنه يمثل رابطا عاطفيا يجمع حوله سكان القرية، ويوحدهم ويشعرهم بالوحدة والترابط، ويشجعهم على التماسك والتعاون، ويهبهم ذلك الشعور بالتميز والمدنية مقارنة بالمحيط البدوي الذي يغلب على المنطقة عموما، وبخاصة في طرفها الجنوبي – القبلة – الذي سادت به روح البداوة والتنقل سعيا للمناطق التي حظيت بسقوط الأمطار والتي قد تؤمن مراعي لقطعان الحيوانات، والتجمع حول آبار المياه بالمنطقة.

تشكل المجتمع الحضري في مثل هذه التجمعات أو المناطق التي قامت حول قصر باعتباره المركز الجامع وتتشابه كثيرا في المنطقة، بل وتتعداها إلى بلدان المغرب عموما لما بينها من تشابه كبير في نمط الحياة وفي الأصول العرقية وفي الدين والثقافة السائدة، ونورد مثالين يظهران التكافل الاجتماعي والتضامن بين سكان القصر والمثال الأول من منطقة تندميرة،[61] بالطرف الغربي للجبل ومعظم سكانها من الأمازيغ ومن أتباع المذهب الإباضي والأكثر تشددا للمذهب، كما أنهم اقل اختلاطا

بالغير، وقد جاء في نص الوثيقة رقم (182) والمؤرخة في أوائل محرم 1260هـ الموافق26 يناير 1844م،: (الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد. وبعد. فقد اشهد على أنفسهم جماعة تندميرة عمره الله بالإسلام أنهم اتفقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتفقوا على أمورهم وما يصلح بهم وعمارة قصرهم لأنهم ناس مقدرين ان كل من يبيع منهم ولم يشاور جماعتهم ان بيعه ناقص والغرفة التي يبيع ترجع للجماعة يخزنوا فيها مال الجماعة لا يبيع منهم حد ولا يشري منهم حد إلا بعد مشورة الجماعة ورضاها ان كل من يبيع بلا مشورتهم بيعه منفسخ هذا التفاهم اتفاقا تاما صحيحا شرعيا اشهد عليهم ذلك من سمع منهم وهم بالحالة الجايزة شرعا وذلك بتاريخ أوائل محرم الحرام 1240هـ كتبه .عيسى السيفاو التندميرتي).

وبالتمعن في نص الوثيقة السابقة نلاحظ الآتي:

1. الاتفاق بين الجميع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ما نلاحظه على معظم الوثائق المكتوبة باسم كل التجمعات في تلك الفترة، وهو من التأثيرات الدينية الراسخة في قلوب هؤلاء السكان بغض النظر على المذهب الذي يتبعونه.
2. تكرار كلمة (جماعة)،[62] في النص خمس مرات نابع من احترام سكان تندميرة للجماعة وهو نظام ديني اجتماعي نشأ بالمنطقة منذ زمن متقدم له نواميسه وقوانينه التي يحترمها الجميع وبخاصة أتباع المذهب الإباضي الذي يسود بين جزء كبير من سكان الجبل، ومنطقة تندميرة تعتبر من أكثر المناطق تمسكا به وبتعاليمه.
3. إن الاتفاق ليس مذهبيا فقط أو ديني بل الغرض منه أيضا الحفاظ على اللحمة الاجتماعية بين سكان القصر وهو أيضا يخدم أمورهم الحياتية، كالاقتصاد والدفاع والحماية وما يصلح حالهم، ويؤدي إلى عمران قصرهم.

هذا الاتفاق الاجتماعي لم تفرضه سلطة عليا تابعة للدول، بل جاء نتيجة للحاجة التي يشعر بها السكان ويحتاجون لإيجاد قواعد تنظيمية تسهل أمور حياتهم، وهذا الأمر يشبه لحد بعيد القوانين التي كانت سائدة في نفس الفترة بين السكان في مدن وقرى الجزائر المجاورة وبين السكان الذين يتخذون هم الآخرون المذهب الإباضي مذهبا دينيا لهم وهذا المثال الثاني الذي يؤكد ما ذكرناه سابقا، حيث نعرض نص المادة رقم (40)، من قانون قرية (تاسلنت منطقة اقبو)، التي تقول: (يجب على كل من يبيع منزلا أو حقلا به أشجار مثمرة، أو حقلا للرعي أو حديقة للخضر ان يعلن ذلك لأخوته وأقاربه وشركائه وسكان القرية إذا كان البيع لصالح شخص من غير أهل القرية).[63]

ويفْهَمُ من نص هذه المادة أن أهل القرية أحق بالشراء من الغريب الوافد، وهذه محاولة من السكان في الحفاظ على أملاك القرية، هذا الأمر الذي تجاوز حتى النص الشرعي بتوريث الأنثى خوفا من ذهاب إرثها لأبنائها الذين قد يكونون من خارج القبيلة، وبهذا تضيع أملاك القبيلة وتهبط روح التضامن بين أفرادها، واضمحلال جذوة المقاومة على الحمى أو الموطن وهو ارض القبيلة عموما.

الهوامش:

1. مقولة شعبية بشكل حكم يسري على الجميع ويعتبر بمكانة القاعدة القانونية.
2. درايب جمع دريبة أسبار جمع سبر
3. أسجل كل التقدير والاحترام للسادة أولاد الحاج، والذين لم يبخلوا في مساعدتي كلما قمت بزيارتهم او اتصلت بهم، واخص بالذكر والتقدير الاخوة، حسن الهادي الصيد ومصطفي محمد امحمد، والعم عون بن محمد، ومحمد امحمد مهلهل، وأبو عجيلة علي الكوني وعبد الله امحمد علي الوحيشي، وقد قدموا لي الكثير من الوثائق المهمة والفريدة، واجابوني عن كل استفسار واجهني وكانوا خير معين.
4. قصر دلة، ويقع جنوب (قصر الحاج)، بحوالي كيلومتر واحد وتستقر به قبيلة السبعة إحدى فروع قبيلة المحاميد، أما بقية القصور الأخرى فلم يتبق منها سوى أطلال وحجارة الأساسات، تتضارب الأقوال في تحديد عمرها وأصحابها وان كان المرجح أنها لسكان المنطقة السابقين من قبيلة بني زمور التي كانت تسكن المنطقة.
5. الزاوي، مصدر سابق، صفحة 261، (وهذه المعلومة القصيرة التي أوردها الشيخ الطاهر الزاوي بها عدة أخطاء، إذ ان قصر الحاج يقع شمال الجبل وليس جنوبه ويقع بسفح الجبل لا بظاهره، ولا توجد ربوة منفصلة عالية قرب القصر. ويبدو ان الشيخ الزاوي نقل هذه الأخبار من الرواة ولم يدقق بها.
6. ومن أشهر عيون قصر الحاج (عين الهكي، عين الحوش البحري، عين السافل، عين العتلة، عين بوعجيلة الأسود، عين الحارس سافل الوحاشة، سافل عيلة الحاج عمر، سافل محمد بن امحمد، سافل القمامدة، عين الكرعان، جابية العوم، جابية الزروق، جابية الدير الدير، جابية حسن، عين الشتولة، الجابية الكبيرة، الجابية الصغيرة، جابية الحاج عمر، جابية مدين، جابية عائلة الصيد، عين عيلة عمر، جابية القمامدة، العين السوداء، عين أبوشارب، العوينة، عين علي بن محمد، عين مهلهل، عين البكوش، حسي الحمروني.
7. مقابلة بقصر الحاج مع الأستاذ عون بن محمد والأستاذ مصطفى محمد امحمد بتاريخ 10 .3 . 2018م وكذلك مقابلة مع الأستاذ حسن الهادي الصيد، بتاريخ 2 . 4 . 2018م، وللتوضيح انظر الملحق.
8. الطابو، كلمة تركية، (tapu kaydi)، بمعنى سجل الأراضي وفي الإنجليزية (land register).
9. من عادات وأعراف سكان المنطقة، عدم الإغارة على الإبل التي تحمل هذا الوسم احتراما لأهلها وخوفا من بركة الجد أبي جطلة الحامي لهذه الإبل وأهلها، وهناك الكثير من الحكايات والروايات التي تدور حول ماحل ببعض من انتهك هذه الحرمة
10. سالم لبيض، وثيقة عن الأصول الشريفة لقبائل المغرب العربي، المجلة العربية التاريخية للدراسات العثمانية، عدد16،15، سنة 1997م.
11. ديفيد هنج، ترجمة ميلاد المقرحي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس،1991، الصفحة 192.

12. الأصابعة، اسم قبيلة عربية من قبائل العرب، يرجعون في نسبهم الى الذبابيين من عرب بني سليم، للمزيد، انظر، الطاهر الزاوي مصدر سابق، صفحة 109.
13. العبادلة، قبيلة تقيم بالمنطقة الوسطى من ليبيا، بمنطقة الهيشة والوشكة يرجع جزء منها إلى ذرية الحاج عبدالله أبي جطلة، ولهم فرع يقيم مع قبيلة العرفة بالشرق الليبي.
14. فرعان من قبيلة ورفلة الشهيرة.
15. مدنين، ولاية تقع بالجنوب الشرقي للجمهورية التونسية، أهم مدنها، مدنين، جربة،جرجيس، بنقردان، بني خداش، اجيم، وتتنوع تضاريسها بين الجبلية والسهلية والساحلية.
16. الحزم، الشائع لدى أبناء هذا العرش أنهم من سلالة أحد صحابة رسول الله "ص"، يدعى حزم بوزراقة، والأرجح أنهم فرع من قبيلة أولاد دباب، السليمية .... وتوسع عرش الحزم في كافة منطقة مدنين قبل ان يزحزحهم الورغمية بعد ان نزلوا مرتفعاتهم ويسيطروا على مدنين ولينتقل أهل الحزم إلى ديارهم الجديدة بين فابس ومارث للمزيد، انظر. محمد علي الحناشي، العروش من النشأة إلى التفكيك، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، الطبعة الثانية 2012، تونس، الصفحة 40.
17. سيدي مخلوف، تختلف الروايات في نسبه، ولكن الجميع يتفق على ان نسبه يرجع للأدارسة بفاس، زوج إحدى بناته للولي سيدي علي بن عبيد مؤسس مدنين. .
18. التوازين، هي أحد فروع ورغمة وتنقسم الى (أولاد حامد، أولاد ابي زيد، أولاد خليفة، أولاد مزطورة)، ومجالها الجغرافي بالجنوب الشرقي لتونس.
19. سالم لبيض، مجتمع القبيلة . البناء الاجتماعي وتحولاته في تونس، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 2006.
20. إدريس الأول، أول من دخل المغرب من الطالبيين وأسس بها أول دولة لهم وأسس مدينة فاس ودام حكمه 127هـ 743 م 177هـ 793م.
21. الناسخ 1، علي بن احمد ابوذينة الناسخ 2، سالم بن احمد بن احمد بن اوحيدة بن مسعود بن جويلي الزنتاني
22. أسماء الشهود المذكورين بالوثيقة:

سيدي علي بن حمد الفاسي 2 سيدي محمد بن موسى الفاسي 3 سيدي أبو القاسم بن احمد الشريف
4 القاضي عبد الوهاب 5 القاضي عبد الرحمن 6 القاضي عبد الأعلى بن محمد
7 القاضي عبد الرحمن بن رزق 8 القاضي جعفر بن محمد

23. الوثيقة، صورة من مكتبة حسن الهادي الصيد، قصر الحاج، 20. 4. 2018م.
24. انظر ملحق الوثائق.
25. هكذا ترد في بعض الوثائق وهكذا تنطق عند بعض السكان بمناطق الجبل والقبلة والساحل.
26. محمد احمد بن بشر الرياني.
27. الوثيقة رقم (57) عبدالله عمر سعيد، الرجبان، 2016م.
28. الوثيقة نفسها.
29. ايدين .. بمعنى أيادي جمع يد.
30. وثيقة رقم (29) محمد مهلهل ، قصر الحاج، 2016م.
31. وثيقة رقم (163)، الطاهر التباني عراب، 2014م.

32. الآية 1. سورة الأنفال.
33. الآية 9. سورة الحجرات.
34. الوثيقة نفسها
35. شبكة التواصل الاجتماعي، موقع وثائق ليبية.
36. المقصود عام 1263هـ الموافق 1846م.
37. طيحناهم على بعضهم بعضا، أجبرناهم على الجلوس مع بعضهم.
38. توارث ووراثة الأحقاد
39. الكراهية والحقد
40. موقع وثائق تاريخية ليبية.
41. الوثيقة نفسها.
42. الوثيقة نفسها.
43. وثيقة رقم (141)، محمد مهلهل، قصر الحاج، 2016م.
44. الهري. هو مخزن تحت مستوى أساسات القصر وعادة توضع به الأشياء الثقيلة مثل المحاريث وأدوات الحرث التي لا يحتاج لها الا في موسم الحرث.
45. غومة المحمودي، هو غومة بن خليفة بن عون المحمودي، فرع أولاد المرموري ومن عائلة أولاد عون، قاد انتفاضة ضد السلطة في الفترة المحصورة بين 1251هـ الموافق 1835م، وحتى 1274هـ الموافق 1858م، والذي تحول في الخيال الشعبي إلى بطل ومخلص وحيكت حوله الكثير من القصص والأشعار، للمزيد، انظر، محمد امحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في ايالة طرابلس الغرب 1835 1858م، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ليبيا، 1988م.
46. وثيقة رقم (22)، محمد مهلهل، 2016م.
47. يعتبر البدو انتزاع أو افتكاك الإبل من بدو غيرهم مبعث فخر واعتزاز، وهذا ما تؤكده الاشعار الشعبية التي تعبر عن عقلية السكان حينها
48. وثيقة رقم (34)، محمد مهلهل، قصر الحاج، 2016م.
49. القاطر/ تعبير عن الخيل التي تدافع عن أملاكها حيث أنها تلحق العدو الغاير، على قطعان الإبل عادة عل شكل متقطع يشبه القطرات المتلاحقة
50. الغاير من الإغارة، تعبير عن الخيل التي تغير على أملاك غيرها وتحاول أخذها "سوقانها "، وكذلك نجذ تسمية الخيل الشوافة والمقصود بها خيل المراقبة .
51. التساوي، نسبة لبلدة تساوة بالجنوب.
52. الوثيقة رقم (45) محمد مهلهل، قصر الحاج ،2016م.
53. سبق ذكرها، انظر الصفحة ..... الهامش.
54. برعم أو غصن
55. الجزاء أو الغرامة.
56. وثيقة رقم (181) محمد مهلهل، قصر الحاج، 2016م.

57.كاباو. كباو .هكذا ترد في بعض الوثائق، بلدة جبلية بجبل نفوسة تبعد عن العاصمة طرابلس حوالي 200 كم جنوب غرب للمزيد انظر، الزاوي ، مرجع سابق ، الصفحة 289.

58.كروات، جمع كروة، وهي وحدة وزن تساوي 3 صيعان والمرطة 12 كروة مقابلة مع يوسف عمرو الباروني، كاباو، 12. 1. 2016م

59.الدمنة: هي المحصول عموما وأحيانا تعني نهاية الحصاد او الجمع والتي تنتهي عادة بعملية التخزين بغرف القصر المخصصة لهذا الغرض والمملوكة لأصحابها او المستأجرة في بعض الأحيان لبعض سكان القرية او حتى من غيرهم.والدمنة أيضا تعني الملكية الزراعية المميزة وخاصة من أشجار الزيتون الذي يحظى بتقدير سكان الجبل وتميز عن باقي الأشجار الأخرى.

60.مكتبة الباحث.

61.تندميرة: بلد في جبل نفوسة، في مسامتة تيجي من الجنوب ومنه اليأس أبو منصور، صاحب جبل نفوسة سنة 267هـ، وهو الذي هزم جيش ابن طولون في المعركة التي وقعت بينهم في قصر حاتم في هذه السنة، وكانت حروبه مع ابن طولون في منتهى النزاهة والعفة، للمزيد انظر، الزاوي، مصدر سابق، الصفحة 84.

62.الجماعة (تاجمعت).

63.حسين بن شيخ اث ملويا، القانون العرفي الأمازيغي، دار الخلدونية، الجزائر، 2006، الصفحة 158.